مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاخبار

التاريخ : ١٩٧٣/١٠/٣٠

تفاصيل تنشر لأول مرة عن معارك سيناء والعبور

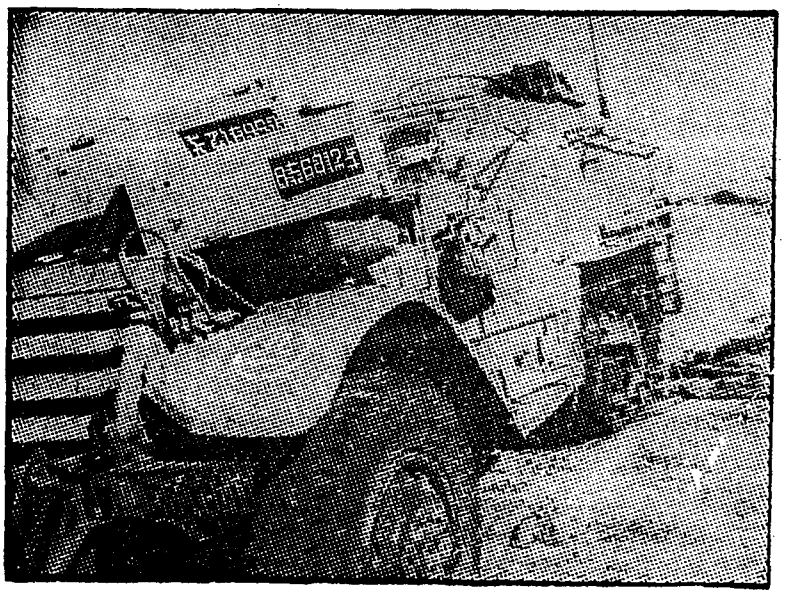

حطام عربة القيادة الاسرائيلية فى اللواء ١٩٠ مدرع ، والتى اسر منها العقيد عساف ياجورى

سابقة فى تاريخ الحروب

المشاه المصريون يهزمون لواء مدرعا

القصة الكاملة لاندحار اللواء ١٩٠ المدرع الاسرائيلى

التاريخ العسكرى سيتحدث عن مقبرة الدبابات

كتب جمـــال الغيطـــانى :

المحرر العسكرى « للأخبار » :

.. فى مايو الماضى قام زعيم الامة انور الســـادات ، بزيارة لجبهة القتال ، ويومها ســـأل المقـــاتلين فى أحد التشـكيلات الميدانية :

ـ هل أنتم جاهزون للعبور ؟

وقال له المقاتلون :

ـ اننا مســـتعدون الليـلة للعبور الى الضفة الشرقية ..

ولم يكن فى هـذا القـول اى مبالغة كان الزعيم وقتئذ يفكر فى خطة التحرير ، وبعد مرور أقل من ستة شهور ، نفذ المقاتلون ما وعـــدوا به ، وما أكدوه ، واندفعوا الى الشرق يلهبهم هذا النداء ..

الله اكبر

الله اكبر

الله اكبر ، الله اكبر كبيرا ، والحمد لله بكرة واصـــيلا ، نصر جيش مصر وحده ، وهزم الصهيونية وحده . . يا رجال مصر ، يارجـال مصر ، جاء اليوم الذى نهب فيـه لتحـرير ارضنا سـيناء العربيـــة ، ان سيناء كانت وستبقى دائمـا مصرية ، وكانت مصرية قبل ان يخلق الله الدين اليهودى ..

اننا نقاتل من حق ، اننا نقـــاتل لتحرير ارضنا من الاستعمار الصهيونى اننا نقاتل حتى لانكون شعبا من اللاجئين فى الصحراء الغربية ، أن هذا ماتريده لنا الصهيونية ، اننا نقاتل لنثأر للذين استشهدوا فى ٦٧ ، بل قتلوا وهم أسرى حرب فعل هذا بهم جيش الدفاع الاسرائيلى لم يراع قوانين حرب ..

اننا نقاتل لنثبت للعالم أجمع ان فى مصر رجالا قادرين مقاتلين ليقطعوا كل يد تمتد ، اننا نقاتل لتحقيق السلام ، اننا نقاتل لتستمر الحياة ، وفى سبيل مصر ..

يا ابنـــاء مصر

ليس امامنا الا أن ننتصر باذن الله ، أن ننتصر لتعيش مصر ، كمـا عاشت السنين ، ولنحقق نصرا نضيفه الى تاريخنـا ،

يا ابنـــاء مصر

لاول مرة منـــذ زمن طويل نهب من الخنادق لنداء الهجوم ونضرب الضربة الأولى تقدموا ، تقدموا ، تقدموا .

ظهر السبت ، السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، هنا فى احد مواجهات القطاع الاوسـط .. اصغى كل المقـاتلين الى هذا النداء قبل الثوانى الاولى للهجوم ظل يتردد طوال المعارك ، منبثقا من التاريخ الطويل . ومن خلايا مصر ..

وانطلق المقـاتلون الى الضـــفة الشرقيـــة .. ازدحمت القنـــاة بالقوارب الخفيفة ، عبر الرجال فى ازمنـة قياسـية فاقت كل المعـدلات الموضوعة من قبل ، لقد سبق هـذه اللحظة ست سنوات من الجهد والمعاناة والتدريب .

كانت قيادتنا العليا قد وضعت فى اعتبارها قيام العدو باعمال عدوانية ضد قواتنا المسلحة ، وبالتالى وضعت كافة الخطط التى يمكن أن تردع العدو ردعا قويا وتحققت توقعات قيادتنا عندما قام العدو بهجومه الغادر على الزعفرانه والعين السخنة وهنا قررت قيادتنا ردع العدو ، ولتنفيذ عملية ردع العدو والرد على العدوان ، قام قادتنا من قبل باعداد عدة خطط تكفل الرد ، وهنا أقول ملاحظة هامة أنه كما تدرس معاهد الدراسات الاستراتيجية العسكرية الان نتائج المعارك التى انتصرت فيها قواتنا المسلحة ، والتى غيرت الكثير من استراتيجيات الحرب التقليدية ، فسوف تدرس يوما خطة الخداع التى اتبعتها القيادة السياسية والعسكرية لايهام العدو أننا غير قادرين على الرد على عدوانه بالحجم الذى قمنا به فى ٦ اكتوبر ، ان اجهزة المخابرات فى العالم كله سوف تتعلم الكثير من هذه الخطة الذكية، والتى كان لها الفضل الاكبر فى تحقيق عنصر المفاجأة فى ردنا على العدو يوم ٦ اكتوبر .

لقد حققت قيادتنا فى هذا اليوم المعجزة ، وهى حشد اكبر قوات ممكنة لرد العدوان ، والمفاجأة الكاملة للعدو بدون أن يشعر العدو برغم ما كانت لديه من اجهزة استطلاع واقمار صناعية لدى حلفائه .

صعود الجبل

.. عبرت المفارز الامامية لقواتنا فى هذا القطاع القناة فى زمن قياسى ، حيث كان المعدل المحدد لعبور القناة ٢ ساعات ، وقد عبرت هذه المفارز فى زمن قدره ٣٠ دقيقة ، وبدأ صعود الساتر الترابى بأسلوب مذهل ، فى سرعة فائقة ، كان المشهد الذى تجسد فوق ضفتى القناة يعيد خلق مصر ، بجسد مصر ، ولنا أن نتخيل آلاف الرجال يندفعون تحت وابل من النيران ، وبين عواصف من الشظايا الساخنة ، وتحت مظلة من الهلاك المحوم فى السماء يعبرون القناة ، وهذا المانع المائى مريض ، بشعر باتساع عرضه من يعبره ، أما الساتر الترابى فيشبه الجبل القائم على ضفة القناة بانحدار صعب ، انه يشبهه من حيث الارتفاع والسمك جبل

الدراسة قبل تهذيبه ، وفي هـذا القطاع بالذات كان يبلغ اقصى ارتفاع له اذ يصل الى ٣٢ مترا فى بعض مواضعه ،

لقد اندفع وجالنا يتسلقونه فى سرعة خيالية ، بعضهم يساعد الآخر ، احد المقاتلين يحمل جهاز لاسلكى ثقيلا يتعثر به ، ينظر أحد الضباط خلفه ليطمئن على عملية التسلق ، يلمح تعثر المقاتل ، يعود مسرعا .. يأخذ بيده ، يعاونه على الصعود ، على جانبى القناة تتصاعد اصوات المقاتلين المصرية الاصيلة ينادى كل منهم الآخر مشجعا ، (شد حيلك يا ..) .. (.. اطلع يا .. يا) .. وفوق هذا كله يغطى على جميع الاصوات هدير المقاتلين ..

الله اكبر ..

من ناحية أخرى بدأت وحدات المهندسين فى شق الساتر الترابى فى عدة مواضع لاحداث فتحات فيه ، وهذه عملية من الناحية النظرية بالغة الصعوبة ، فعند مرورى الى سيناء من خلال هذه الفتحات ، كان جانبى الساتر يرتفعان الى علو كبير ، بحيث بدت سيارتنا عند المرور من خلاله وكأنها تعبر واديا صغيرا من جبلين ، ولكى تجسد ضخامة هذا الساتر بلغة الارقام والعلم ، يقول احد المقاتلين الذين اشرفوا على عملية العبور هنا ، انه لاحداث كل فتحة فى الساتر الترابى كان لابد من ازالة كمية ردم تعادل ٢٨٠٠ م٣ ، أى مابوازى عمق عمارة قدرها ثمانية ادوار ،

ان المتأمل لهذا الساتر الآن والممرات المشقوقة بينه ، يتجسد له المستحيل الذى قهرته قواتنا ، من ناحية اخرى كان الخبراء كلهم يجمعون على ان عبور بحيرة التمساح بعد من رابع المستحيلات نظرا لاتساعها ، وسرعة التيار فيها وعمقها ، ولكن العدو فوجىء بقواتنا تجتازها بسرعة بالغة ، وتطبق عليه ، وتقتحم دفاعاته .

كان رجالنا يطبقون على العدو من كافة الاتجاهات ، فى احكام ودقة ومهارة ، فى نفس الوقت كان يتم فتح الثغرات فى حقول الالغام التى بثها العدو ، والاسلاك الشائكة ، ان هذه الاسلاك تشبه الغابة ، أحراش كثيفة وادغال من الاسلاك الشائكة التى تعلو الساتر الترابى ، وتحيط النقاط القوية ، تتخللها الخوازيق الحديدية ومواقع رؤوس التينن المضادة للدبابات والشراك الخداعية ، وخزانات النابالم التى كانت معدة لاشعال قناة السويس لحظة عبور القوات لتحويلها الى بحر من النيران .

لقد اجتاز رجالنا كل هذه الموانع .

وفوق نقطة عالية ، يتداعى الى ذهن المقاتل الفذ حسن ، لحظة عبور القناة ورؤية الرجال ، بناة الهرم وزحفهم ، يرصون الاحجار المنحوتة من صخر الجبل فوق بعضها ، ايضا آلاف المعاول التى تشق الصحراء لتحفر قناة السويس ، نفس هذه القناة التى اقتحمها الرجال فى تمام الثانية ظهر السبت .

العلم

تم عبور القوات المترجلة ، المشاة ، الضباط والجنود ، واستمرت عمليات اقامة الكبارى الضخمة التى ستعبر فوقها الدبابات والاسلحة الثقيلة .

كانت نظرية الدفاع الاسرائيلية مبنية على أساس التصدى للقوات المصرية الخفيفة التى ستعبر فى البداية ومحاولة اجهاض هجومها قبل وصول الدبابات وهكذا دفع العدو بسرعة باعداد من دباباته للاقاة مشاتنا ، لكنه فوجىء أن كل جندى مصرى عبارة عن دبابة متحركة ، كل جندى يحمل سلاحا مضادا للدبابات .

فى نفس الوقت اندفعت المفارز الامامية ، طلائع هجومنا ، الى النقاط المرتفعة المتحكمة فى الارض . دفع مع هذه المفارز خمسة وعشرون علما مصريا ، وبين دخان القنابل وسحابات الغبار وتناثر الشظايا ، والموت المحلق ، والدماء ، خفق علم مصر ، اجتاز

الرجال الارض ، واعتلوها ، وغرزوا العلم ، خمسة وعشرون علما ورفرفت فى هذا القطاع من الجبهة، وعندما خفقت الاعلام ، اندلع لهيب من صدور المقاتلين ، الله اكبر ، سرى فى الصدور طوفان من اللهيب والحماس ، اتحدت فى هذه اللحظة آلاف العناصر ، التاريخ العريق ، والرهبة فى الثار ، باختصار شديد ، اندلعت مصر ، وتسابق الجنود ، العبور ، تسلق الساتر ، اقتحام حقول الالغام ، الاحاطة بالنقط القوية .

وخلال المعارك الاولى كان حرص القيادات شديدا على تحقيق النصر ، لابد من الانتصار فى هذه المعارك التى ستحدد مسار الحرب ، بينما التعاون بين الاسلحة يبلغ درجة عالية من الاتقان والتوافق .

بدا العدو فى تحريك مدرعاته التى تقف فى العمق ، قابلته المغارز الامامية لجنودنا ، والتحم المشاة بالمدرعات ، لاول مرة فى تاريخ الحروب يتصدى المشاة للدبابات ، يفجر كل منهم بسلاحه القاذف دبابة ، شل العدو من المفاجاة وهو غير قادر على التعامل مع جنود مشاة يقاتلون قتال الابطال ولاول مرة ترى ساحات المعارك مشهدا لم يحدث من قبل ، جندى المشاة المصرى يجرى وراء دبابة ، يدمرها لم تستطع دبابة واحدة الاقتراب من القناة الى مسافة لا تتجاوز ستة كيلو مترات ، لقد بدا الرماد الذى ذرته اسرائيل على سمعة المقاتل المصرى يتطاير ، انقشعت الغمامات ، بينما استمر تدفق الطوفان البشرى عبر القناة ، وفوق الضفة الشرقية كانت اوضاع القوات ممتازة أكثر مما قدر لها . واندفع الرجال يحملون معدات ثقيلة جدا يجرون وكأنهم يحملون اخف الاعمال ، امتزج الانسان بالصراع الدموى وانكار الذات والتضحية .

بينما يخفق العلم الذى شمخ فوق اكثر من موقع يظلله هذا كله .

الكوبرى

فى الوقت نفسه استمرت اعمال المهندسين لمد الجسور الثقيلة المخصصة لعبور المدرعات وكانت القيادة قد وقع اختيارها على مواقع معينة يتم فيها اقامة المعابر ، ومن ناحية اخرى بذل العدو جهودا جبارة لاكتشاف هذه المواقع ، ولان قادتنا يعرفون العدو تماما ، ودرسوا كافة أساليبه ، فقد دبروا له عملية خداع ممتازة ، تعكس احد أساليب قواتنا فى هزيمة العدو ، لقد اختاروا موقعا معينا وبدأوا فى تمهيد الارض المؤدية له ، ودفعوا ببعض القوات الهيكلية على الطريق ، وركزوا عمليات الاستطلاع على هذه النقطة بالذات ، بحيث أن العدو اقتنع فعلا أن هذا هو مكان العبور المحتمل وعند بدء المعركة دفعت قواتنا بكوبرى حقيقى الى هذا الموضع ، وبدأت عملية مده وركز العدو كل جهوده لضرب هذا المعبر ، وركز مدفعياته كلها ، وجاءت اسراب من الطائرات تحاول قصف الكوبرى .

وفى بعض المواقع الاخرى استمر رجالنا فى اقامة الكبارى الحقيقية التى ستعبر منها الدبابات ، ولم يوجه العدو جهده ناحية هذه الكبارى ، انما ركزها فوق هذا الكوبرى الوهمى ويبتسم المقاتل حسن قائلا ..

ـ لقد افتدى هذا الكوبرى كل المعابر الاخرى .

وفى فترة زمنية قصيرة نشأ مشهد جديد فى تاريخ القناة ، لقد وصلت الضفتان بعدة معابر منينة محمية بقوة

واندفعت مدرعاتنا الى الشرق باقصى سرعة لتلتحم مع مدرعات العدو وعندما بدأ ليل الحرب فى النزول كان جنودنا يقتحمون النقاط القوية والواقعة فى مواجهتهم ، وكان كل شىء يعكس الذعر والمفاجأة التى لحقت بالعدو ، فى احدى النقاط القوية كان البوتاجاز

مازال مشتعلا وفوقه اناء فارغ لم يوضع به شيء ، وثلاجة تعمل بالكيروسين مفتوحة الباب لم يستطع جندى العدو اغلاقها . وثمرات بطاطس قشر نصفها ولم يتم تقشير النصف الاخر وكان جنود العدو القتلى حفاة لم يجدوا الوقت اللازم لارتداء ثيابهم .

وهنا لابد من تسجيل حقيقة هامة، وهى ان رجالنا لم يقتحموا هذه النقاط بوسائل سحرية ، ولم يكن الامر سهلا ، لقد قدموا اغلى التضحيات ونزفت مصر أغلى دماء رجالها ليحققوا العبور والنصر .

وفى داخل أرض المعركة استمر المشاة فى تلاحمهم القتالى ضد الدبابات وفى احدى النقاط فوق سيناء ، رأى جنودنا دبابة معادية واقفة ، طاقمها يقف خارجها ، كان لاربعة يتشاجرون مع بعضهم البعض، وفهم رجالنا انهم ضلوا الطريق ، ولا يعرفون الاتجاه الصحيح وكان يبدو عليهم الذعر كنتيجة للارتباك الذى وقع بين دبابات العدو اثر تلاحم المشاة بها والحاقهم افدح الخسائر بهم ، قرر رجالنا ان يستولوا على الدبابة سليمة ، قذفوا الدبابة بقنبلة يدوية ابادت الطاقم واستولوا على الدبابة الباتون الامريكية سليمة ، ومع مجىء الليل ، ودخول دباباتنا المعركة وقع فى قبضة قواتنا اول اسير اسرائيلى ينتمى الى الاحتياطى الاستراتيجى العدو الذى يحتفظ به فى العمق ؛

واحتدم القتال طوال الليلة الاولى لقواتنا فوق لضفة الشرقية .

١٩٠

خلال الليل دفع العدو الاسرائيلى بلواء مدرع فى اتجاه قناة السويس ، وهذا اللواء يعد من اكفأ الالوية المدرعة الاسرائيلية ، ويتكون اللواء المدرع المعادى عادة من ١١٠ دبابات مدعومة بكتيبة مشاة ميكانيكية ، وكتيبة مظلات ، وسرية هاون ثقيل ، ومدفعية معاونة ، وبالطبع هناك الطيران .

وعند وصول اللواء المدرع أرض المعركة حاول اتباع نفس الاسلوب الاسرائيلى الساذج ، دفع سرية دبابات الى اليسار للهجوم بحيث لا يوحى بحجم القوة الحقيقية .

فوجىء بمواقع امامية مخفاة ، دمر له ٧ دبابات .

دفع سرية اخرى فى اتجاه الشمال الشرقى لقواتنا ، وتعاملت معها قواتنا ودمرتها ، وفى هذا الوقت كانت عناصر استطلاعنا ترقب جميع المنافذ والطرق وطبقا لعوامل معينة قدرت قواتنا ان اتجاه الهجوم الرئيسى سيكون فى المنتصف .

وبسرعة تم فتح مصيدة قاتلة بالاسلحة المضادة للدبابات ، لدرجة ان كل دبابة خصص لها اسلحة مضادة اضعاف اضعافها ، وثار الغبار فى سيناء ، كان العدو يتقدم بسرعة ٤٠ كيلو فى الساعة وهى سرعة عالية بالنسبة للدبابات ،

ولكن ما ان عبرت قوات العدو الى الامام حتى فوجئت بسيل عاصف من النيران ، من الامام والخلف والاجناب من كل اتجاه ، كان الجحيم قد فتح أبوابه ، وخلف مؤخرة العدو قاد واحد من ابطال مصر ، من ابنائها النظام القتال المتلاحم ضد الدبابات، كان استاذا فى القتال المتلاحم ضد المدرعات .

هذا القتال الذى استشهد فيما بعد سوف يرفع الستار عنه يوما لتعرف مصر كلها واحدا من اغلى فلذات اكبادها الذين افتدوها .

كانت هذه المعركة نقطة تحول فى تاريخ الحروب التقليدية ، لاول مرة تقوم وحدات مشاة خالصة غير مدعمة بالمدرعات ، مسلحة بالقواذف المضادة للدبابات ، بتدمير لواء مدرع كامل بكل مايضمه ، كانت سرعة اقتحام المدرعات عالية ، ولكن سرعة اقتحامنا كانت اعلى .

وهناك فى المؤخرة لمح رجالنا مركبة القيادة ، اتجهوا اليها ..

مقبرة الدبابات

فوق مساحة واسعة من رمال سيناء تتناثر بقايا اللواء المدرع ١٩٠ ، واعداد كثيرة من الدبابات التى ابيدت خلال المعارك العديدة التى جرت خلال الفترة التالية فى هذا القطاع ، الحديد متفحم اسود ، واجزاء الدبابات منبعجة ، الابراج طارت عن دباباتها ، وكان ايديا قوية خرافية لامست الى عالم الانسان قد فعلت هذا ، الدروع القوية ملوية ملفوفة ، ولكنها ليست قوى خارقة أو خيالية.

انهم رجالنا الذين الحقوا هذه الخسائر الفادحة بالعدو ، ان حجم هذه الخسارة مذهل ولا يمكن الاحساس به وتقديره الا هنا فى جبهة القتال ، ان اعداد الدبابات والمركبات المدرعة العادية المحطمة والجثث المتفحمة تجسد ضراوة المعارك وشراستها وفى نفس الوقت تجسد ما ألحقته قواتنا بالعدو ، ان المساحة التى تتناثر فوقها الدروع المصهورة والابراج التى طارت من دباباتها ، اشلاء الفولاذ ، تشبه مقبرة خيالية رهيبة للدبابات ، توقفت كثيرا أمام بعض الحطام وانا أتعجب للطريقة الفنية والبراعة العظيمة التى اصابت هذه الاجسام الفولاذية ، أحدث ما انتجته ترسانة السلاح الامريكى .

لقد طورت قواتنا اساليبها اثناء القتال ذاته ، ان الخبرة المكتسبة خلال هذه المعارك لاتقدر وتفوق اى تقديرات .

- لقد اتيحت لنا الفرصة لأول مرة منذ خمسة وعشرين عاما لكى تهاجم ونقاتل ، لقد انتصرنا لاننا أخذنا الفرصة كاملة ، لاول مرة منذ خمس وعشرين سنة يخرج الجيش المصرى من الخنادق ويمتلك زمام المبادأة ، واذا كان هناك اسباب رئيسية للنجاح الذى حققناه فاننى اقول بدون مبالغة ، ان هذا يرجع الى الرجل الذى اعطى ثقته لقواته المسلحة وامر بالهجوم ، وتحمل مسئوليته ان تقوم هذه القوات بتنفيذ المعركة فى وقت قال فيه العالم بفضل الدعاية الاسرائيلية ، اننا لسنا مقاتلين ، ايضا الشهداء الذين قاتلوا برجولة ، وشجاعة وشرف ، والذين سيرفع عنهم الستار فى الوقت المناسب لتعرف مصر ابطالها الحقيقيين ، الذين ضحوا بارواحهم فى سخاء واثقين أن مصر ستعيش ، وسترفع اعلامها فى السماء ، مصر ذات التاريخ العسكرى المجيد والذى يبلغ عمره ٧٠٠٠ سنة .

الضفة الشرقية

ان تقف فوق الضفة الشرقية للقناة وتنظر الى الضفة الغربية ، فهنا يختزل الانسان عمره بأكمله ويمكنه أن يضحى بنفسه راضيا . أصغيت الى صوت المقاتل الفذ صديقى ، وهو يشير الى بعض المصاطب العالية التى أقامتها قواتنا فوق الضفة الغربية لاستخدامها كمرابض أسلحة تعاون القوات المتقدمة الى الشرق . قال :

- هل رأيت المصاطب من هنا ؟!

ورأيت فى صوته النصر ..

ان تخطو فوق رمال سيناء العزيزة الناعمة ، بعد أن مهد الطريق بالدم والمعاناة والتضحيات ، أن تفكر لحظة وصولك الضفة الشرقية ، كان يلوث هذه الارض منذ أيام عدو قذر ، وجوه غريبة عن الارض والتاريخ ، وقام رجالنا بقهره وطرده الى الشرق ، ان تسمع فوق ارض سيناء لهجة صعيدية واخرى بحراوية ، ومزاحا قاهريا ، ان ترى الوجوه المصرية التى تعودناها والملامح السمراء فهنا يجعل نفسك تنتفض داخلك ، وتشعر بالتوحد فى الارض والتاريخ والانسان .

ان تلتقى بمقاتلين ارتبطت بهم من قبل بعلاقات قوية نسيجها حب مصر والتضحية من أجلها ، جالستهم من قبل فى مواقع متفرقة فوق الضفة الغربية ، الآن اتحدث اليهم فوق الارض التى كانت تبدو لنا اسيرة من

الضفة الغربية ، ارقب واحدا من المقاتلين . متصوف حرب ، راهب عسكرية ، وقدرة لا تتبدد على حيوية العقل المصرى واستمراره وعظمته ، ان ترى ابناء وطنك منتصرين ، فهذا يجدد العمر ، ويعيد الثقة الى الاماني والاشراق الى المستقبل .

فوق سيناء ، اشد على ايديهم ، أعانقهم ، اقبل الارض تحت اقدامهم.

لقد عبروا ..
لقد عبروا ..
لقد عبروا ..